

الفصل الأول

الخديو عباس الثاني بين السلطان والقنصل البريطاني

- ١ - ظروف تولية عباس الثاني أريكة الخديوية .
- ٢ - علاقة عباس الثاني بالسلطان (أزمة الفرمان) .
- ٣ - علاقة عباس بالانجليز في العام الأول من حكمه .
- ٤ - الأزمة الوزارية ١٨٩٣ .
- ٥ - وزارة رياض وحادث الحدود .
- ٦ - وزارتي نوبار ومصطفى فهمى .

١ - ظروف تولية عباس الثانى أريكة الخديوية :

بعد ضرب الثورة العرابية صفيت الحركة الوطنية وركنت الأمة الى الاستكانة والخضوع ، وتضاءلت الروح الوطنية فى النفوس ، وأصبحت الحياة السياسية فى مصر تدور حول الخديوية من ناحية وسلطات الاحتلال من ناحية أخرى وظل هذا الموقف سائدا فى السنوات الأولى للاحتلال ، وقد سارت انجلترا بخطوات واسعة فى تحقيق أغراضها الاستعمارية وبسط حمايتها المقنعة على مصر والتدخل فى شئونها .

وفى ٧ يناير ١٨٩٢ اشتد المرض بالخديو توفيق حتى بلغ مرحلة الخطر (١) فى وقت كان فيه الموقف فى مصر دقيقا ، فسلطة الخديو كانت ضائعة ومسلوبة لقضاء الانجليز عليها خلال السنوات العشر الأولى لاحتلالهم البلاد ، والحكومة الموجودة على رأسها صنيعة الاحتلال مصطفى فهمى الذى يشارك الانجليز عواطفهم دون تحفظ (٢) والذى كان ممقوتا من الشعب مكروها من الصحافة (٣) وقد كان الانجليز يتصرفون فى شئون البلاد كما يشاءون .

ولخشية الانجليز من تدخل السلطان العثمانى فى أمر مصر بعد وفاة الخديو توفيق اجتمع السير ايفلين بارنج (٤) مع مصطفى فهمى رئيس النظار وتجران باشا ناظر الخارجية والسير ألوين بالمر المستشار

(1) Cromer. Abbas II P. 2 - 3.

(2) Milner. A. England in Egypt P. 132.

(٣) د. محمد نجيب أبو الليل : الاحتلال البريطانى والصحف الفرنسية

ص ١٠٧ .

(٤) منح السير ايفلين بارنج لقب Pair فى ٢٤ مايو ١٨٩٢ ،

وهذا اللقب يخول لصلحه لقب لورد فسمى لورد كرومر من هذا التاريخ .

المالى وتباحثوا فى الأمر (٥) واتفقوا على استدعاء نجله عباس من
فيما حيث كان يتلقى العلم فى كلية التريزيانوم وذلك لأنه أكبر أنجال
الخدّيو توفيق .

وفى ٧ يناير ١٨٩٢ توفى الخدّيو فى الساعة السابعة وسبعة عشرة
دقيقة مساءً بسرّاي حلوان (٦) على أثر إصابته بحمى شديدة (٧) .

ولما كان البرنس عباس نجل الخدّيو الراحل لا يزال فى فينينا
فقد أخطر تلغرافيا بالخبر كما أخطر الباب العالى (٨) وتقرر أن يدير
مجلس النظار تحت رئاسة مصطفى باشا فهى أعمال الحكومة حتى
يصل الخدّيو الجديد (٩) .

وفى ٨ يناير أرسل البرنس عباس من أوروبا تلغرافا الى مصطفى
فهى رئيس النظار أوضح فيه أنه سيصل على الوابور الذى سيصير

(٥) أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ج ٢ ، من ١٨٩٢ — ١٩٠٢
ص ١ .

(٦) الوقائع المصرية : عدد ٨ يناير ١٨٩٢ .

ويوضح اللورد كرومر أثر وفاة الخدّيو توفيق على الاجتلال بأن وفاته
قوضت نظاما كان يتوقف وجوده الى درجة كبيرة على اطالة أجله .

Cromer : Op. Cit., P. 7.

(٧) محمود فهى المهندس : البحر الزاخر فى تاريخ العالم واخبار
الأوائل والأواخر ، القاهرة — المطبعة الأميرية ببولاق ١٣١٢ هـ ، ج ١ ،
ص ٢٥٧ .

(٨) دار الوثائق : مذكرات محمد فريد . القسم الأول من ١٨٩١ —
١٨٩٧ تحت عنوان سنة ١٨٩٢ أول جمادى الثانية ١٣٠٩ .

(٩) الوقائع المصرية : السنة الحادية والستون رقم ٤ فى ٨ يناير
سنة ١٨٩٢ .

تحضيره في تريبستة بلا تأخير وأنه على يقين من أن الأعمال في الحكومة ستسير بكل همة ونشاط حتى يتم وصوله الى مصر (١٠) .

كما أرسل الصدر الأعظم العثماني تلغرافا الى رئيس مجلس النظار بتاريخ ٨ يناير ١٨٩٢ أوضح فيه أنه بعد عرض أمر وفاة الخديو على السلطان وافق على أن يؤول منصب الخديوية الى البرنس عباس حلمي أكبر أولاد المرحوم محمد توفيق باشا ، حسب فرمان وراثة الخديوية المصرية ، وحتى يصل الخديو الجديد من أوروبا ليتسلم مهامه في مصر تكون ادارة الحكومة بواسطة رئيس مجلس النظار بالاشتراك مع الوزراء (١١) .

وعندما اتخذت المراسيم الرسمية لتولية الخديو الجديد ظهرت مشكلة شائكة وهي أن عباس الثاني لم يكن قد بلغ سن الرشد حين وفاة والده الخديو توفيق فلأمر يقتضى أن لا يكون سن الأمير أقل من ثمانية عشر عاما ، وبما أن عباس ولد في ١٤ يولييه ١٨٧٤ فإنه لم يبلغ سن الرشد الا في ١٤ يولييه ١٨٩٢ بينما كانت وفاة والده المفاجئة في ٧ يناير ١٨٩٢ مما أظهر شبح تكوين مجلس وصاية ما دام الأمير لم يبلغ سن الرشد (١٢) .

(١٠) مذكرات محمد فريد : القسم الأول ١٨٩١ — ١٨٩٧ تحت عنوان سنة ١٨٩٢ .

(١١) الوقائع المصرية : السه الحادية والستون رقم ٥ في ٩ يناير سنة ١٨٩٢ تحت عنوان « القسم الرسمي » .

(١٢) ورد في صورة الخط الهاميونى الذى صدر بخصوص توارث الحكومة الخديوية أنه اذا لم يبلغ أكبر أبناء الوالى الذكور سن الثمانية عشر سنة عند وفاة والده يشكل مجلس وصاية من الذوات الموجودين فى الداخلية والجهادية والمالية والخارجية ومجلس الأحكام المصرية وسردارية العساكر المصرية وتفتيش الأتاليم وينتخبون منهم وصيا .

انظر : كنز الرغائب فى منتخبات الجوائب — الجزء الخامس .
الاستانة : الطبعة الاولى — مطبعة الجوائب ١٢٩٤ هـ ، ص ٩٣ .

ولكن أحد العلماء اقترح أن يحسب سن الأمير المسلم حسب السنين الهجرية التي تبلغ أيامها ٣٥٤ يوما وبما أن السنة الهجرية تقل عن السنة الميلادية في عدد الأيام اتضح أن سن البرنس عباس بالتاريخ الهجرى يصل الى ثمانية عشر عاما في يوم ٢٤ ديسمبر ١٨٩١ أى قبيل وفاة والده بأربعة عشر يوما فتمسك كرومر بذلك رغبة منه في ابعاد تشكيل مجلس للوصاية خشية تدخل السلطان ، وبذلك حسمت المشكلة (١٣) .

استدعى عباس من فينا ، كما أبلغ السلطان بما تم التوصل اليه فوافق وأصدر منشورا عاما باستمرار النظار في أعمالهم لحين وصول الخديو الجديد واستلامه زمام أمور البلاد .

يتخذ البعض من موقف كرومر بجانب حساب سن الخديو عباس هجرى بأن عباس يدين بالفضل في تعيينه في مسند الخديوية الى الانجليز (١٤) ومع أننا نتفق مع هذا القول من ناحية تمسك كرومر بأن يحسب سن الأمير حسب السنين الهجرية في البلاد الاسلامية ، واسرعه في استدعاء عباس من فينا فاننا نرى أيضا أن عباس يعتبر ولى العهد الشرعى ومن حقه تولى الخديوية حسب الفرمانات السلطانية وان المسألة كانت مسألة وقت لا يزيد عن أربعة عشر يوما وأن كرومر قد فضل تولية الخديو الجديد عن قيام مجلس للوصاية خشية تدخل السلطان العثمانى فى الأمر .

وصل عباس الى الاسكندرية فى الساعة الواحدة من صباح السبت ١٦ يناير ١٨٩٢ ونزل بقصر رأس التين حيث أجريت له التشريفات ثم أخذ يضطلع بمهام الأريكة الخديوية وتذكر « جوليت آدم » أن أول

(13) Cromer : Op. Cit., P. 2 - 3.

(١٤) يوسف خليل جاد الله : تطور الحركة القومية فى مصر ١٨٨٢ - ١٩١٩ (رسالة دكتوراه غير منشورة) ص ٢١١ .

كلمة لفظها الخديو عند وصوله الى مصر كانت « انى أفضل الموت عن النزول عن أصغر حق من حقوقى »^(١٥) ، كما انتقد سياسة والده في الاستكانة لأغراض الاحتلال آسفا كل الأسف لتعاون الوزارات مع رجال الاحتلال في السيطرة على البلاد واستنزاف مواردها^(١٦) وقد أدى ذلك الى احساس اللورد كرومر بأن الخديو الجديد يختلف عن والده فقال فى رسالة له الى اللورد سالسبورى « انى أرى أن الخديو الشاب سيكون مصريا بحتا »^(١٧) .

ويذكر أحمد شفيق أن عباس لم يكن مستريحا لسياسة والده مع المحتلين فعندما حضر الى مصر فى الأجازة الدراسية التى سبقت توليته سأل بعض رجال الحاشية عن سير الأمور العامة فعلم منهم أن الأمور تجرى وفق سياسة المعتمد البريطانى التى ينفذها مصطفى فهمى رئيس النظار بكل دقة فاجتمع بوالده وأبدى ملاحظاته على هذه السياسة فأجابه والده « يا ابنى أنت لا تزال صغيرا ولا تدرك مثل هذه الأمور »^(١٨) .

ولقد جعلت هذه الرواية البعض ينتظرون خيرا من الخديو الجديد كما قابلت البلاد الأمير الشاب بالترحاب مما جعله وهو فى فتوة الشباب ومتعلم فى بلاد حرة مثل النمسا يصور سياسته على أساس التمسك بما له وما لمصر من حقوق .

وعندما توجه الخديو الى الصلاة فى المسجد الحسينى يوم الجمعة ٢٢ يناير تراحم الناس فى الطرقات المؤدية الى المسجد ، وتهافتوا عليه

(١٥) جوليت آدم : انجلترا فى مصر — ترجمة على فهمى كامل .
ص ١٤١ .

(١٦) المصرى : فى مايو ١٩٥١ ، مذكرات الخديو عباس الثانى .

(17) Cromer : Op. Cit., P. 4.

(١٨) أحمد شفيق : أعمالى بعد مذكراتى ، ص ٢٢٧ .

مصفقين وفكوا الخيول من العربة وجروها بأنفسهم الى المسجد (١٩) .

وطبقا لمنهج البحث العلمى فاننا لا نقيس أعمال الخديو عباس الثانى بعام أو عامين من حكمه بل القياس سيكون على الفترة التى قضاه فى حكم مصر ، والمواقف التى وضعت تحت الاختبار وأظهرت موقفه تجاه الحركة الوطنية وتجاه المحتلين أيضا .

وقد ساعد عباس على مناوأة الانجليز الموقف الدولى العام فتركيا كانت قلقة من تواجد الانجليز على ضفاف النيل ، وفرنسا التى خسرت نفوذها المتفوق فى مصر حاولت أن تسترد هذا النفوذ بمعاونة الخديو الجديد ، وهناك الدول صاحبة الامتيازات ثم كانت هناك الوزارة المصرية المتعاونة مع الاحتلال ، والى جانب هؤلاء كان شعب مصر يريزح تحت ضربة الهزيمة والذى رأى فى الأمير الجديد متنفسا لآماله ومخلصا له من الاحتلال (٢٠) .

وكانت الحكومة الانجليزية تود أن يقتضى الخديو عباس أثر سياسة أبيه فأشارت عليه من طرف خفى بضرورة اتباع خطة والده مع الانجليز فذكرت أن انجلترا فقدت بوفاة المغفور له توفيق حليفا أميناً تمكن بحسن سياسته من إعادة السلم والنظام والرفاهية للبلاد المصرية ثم أعربت ملكة بريطانيا عن تمام ثقتها فى أن الخديو الحالى سيقضى أثر هذه السياسة (٢١) .

لقد تملك عباس فى الفترة الأولى من حكمه شعور حماسى واستقلال

(١٩) أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ج ٢ ، من ١٨٩٢ --

١٩٠٢ ، ص ١٧ .

(٢٠) محمد على علوبة : ذكريات اجتماعية وسياسية ، مخطوط بدار

الوثائق ..

(٢١) أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ج ٢ ، ص ١٦ .

في الرأي يؤهلانه لأن يكون قائدا وطنيا فأحس أن له ولمصر حقوقا يجب أن تصان (٢٢) ، ولولا الصعاب التي اعترضته والاحتلال الذي قلم أظافره وردة الي شيء من الخوف لاسار على هذه السياسة أمدا أطول .

قام الخديو عباس الثاني باجراء بعض تنقلات وتغييرات في المعية التي كانت على أيام والده الي أفراد آخرين فأبعد من كانت سيرته غير حميدة مما أدى الي ارتياح الرأي العام (٢٣) كما عين بعض من يثق فيهم مثل أستاذه النمساوي Louis Rouiller أستاذ الاقتصاد السياسي بمدرسة العلوم الشرقية بجامعة فيينا والذي كان مدرسا خصوصا له أيام أن كان طالبا بكلية التريزيانوم فعينه في ١٤ أبريل سنة ١٨٩٢ سكرتيرا عاما لديوانه عقب تنظيم المعية (٢٤) كما نقل أحمد شفيق من نظارة الخارجية الي المعية السنية (٢٥) .

ومع أن علاقة الخديو مع السلطان والانجليز في أول الأمر كانت مبهمة وغير منظمة فقد أثار في أول الأمر حملة شديدة ضد تركيا ثم واجه الانجليز وبدأ في ممارسة مهامه فأبدى ملاحظاته على الضباط الانجليز الذين لا يقومون بأداء التعظيمات العسكرية اللازمة له أثناء مروره من

(٢٢) مذكرات قليني مهمى ج ١ ، ص ٧٤ — ٧٥ .

(٢٣) دار الوثائق القومية : مذكرات محمد فريد ، القسم الاول الفترة من ١٨٩١ — ١٨٩٧ تحت عنوان سنة ١٨٩٢ .

(٢٤) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٧ .

(٢٥) دار الوثائق : ديوان خديو رقم ١٦ ملف نظارة الخارجية رقم (١) عام ١٨٩٢ مذكرة بتوقيع ناظر الخارجية بتاريخ ١٥ فبراير ١٨٩٢ .

أمامهم (٢٦) . كما أخذ يتدخل في شؤون الإدارة ويصدر أوامره مباشرة من السراى الى المديریات بخصوص الفيضانات أو المنازعات التي تنشب بين الموظفين الانجليز وبين المصريين فان ذلك يرجع الى خبرته القليلة عن حقيقة الموقف في مصر وحقيقة وضعه هو أيضا والى الحماس الذي يمكن أن ينتاب الشبان في مثل سنه .

اتجه الخديو عباس الى الأمة فأصدر أوامره في ٦ نوفمبر ١٨٩٢ . بالعفو عن عدد كبير ممن اشتركوا في أحداث الثورة العرابية ومنحهم حق التمتع بجميع الحقوق المدنية ورد اليهم ما كانوا قد جردوا منه من العناوين وعلامات الشرف (٢٧) ثم صار يستقبل الطوائف مرتين كل شهر ليوطد علاقته بالناس ويجمعهم حوله (٢٨) .

٢ - علاقة الخديو عباس الثانى بالسلطان (أزمة الفرمان) :

حاولت القوى المؤثرة على الوضع السياسى في مصر الضغط على الخديو لكى تضمه الى صفها مستغلة في ذلك صغر سنه ثم قلة خبرته بأحوال البلاد فدخّل السلطان العثمانى صاحب السيادة الشرعية على مصر تسانده كل من فرنسا والروسيا في سباق مع انجلترا المؤيدة بدول

(٢٦) لقد كان الأستاذ روليه من أشد رجال الحاشية دفعا للخديو للمطالبة بحقوقه الشرعية فقد زين له فكرة اخراج العساكر الانجليز من القلعة بحجة وجود جامع محمد على وديوانه الأثرى في هذه المنطقة كما ايده في ملاحظته على الضباط الانجليز من عدم قيامهم بأداء التعظيمات له أثناء مروره بموكبه .

احمد شفيق : مذكراتى في نصف قرن ج ٢ القسم الأول ، ص ٣٨ ، ص ٥٢ .

(٢٧) الأستاذ : العدد ١٢ في ٨ نوفمبر ١٨٩٢ ، ص ٢٨٨ تحت عنوان « فناء وتهنئة » .

(٢٨) احمد شفيق : المرجع السابق ، ص ٣٦ - ٣٧ .

التحالف الثلاثي للسيطرة على الخديو ، وقد بدأ السلطان ذلك حين طلب من عباس زيارته وهو ما يزال في أوروبا قبل أن يصل الى مصر ، ولكن عباس تجنبنا للضغط من السلطان عليه سافر الى مصر مباشرة مما أغضب السلطان الذي لجأ الى تأخير فرمان ولايته ، كما حاول اقتطاع شبه جزيرة سيناء من مصر على زعم أنها تتبع ولاية الحجاز ، ودارت المفاوضات في هذا الصدد قبل تحرير فرمان على أساس أن تتخلى مصر عن العقبة ومنعا لتوتر العلاقات بين مصر والدولة العثمانية قبل الخديو ذلك .

ولما جاء المثير أحمد أيوب المندوب العثماني الى مصر في ٤ أبريل ١٨٩٢ — أى بعد تولية الخديو بأكثر من شهرين — حاملا فرمان تولية عباس الثانى الصادر في ٢٦ مارس ١٨٩٢ كان فرمان الذى يحمله مطابقا لفرمان ٧ أغسطس ١٨٧٩ الصادر لوالده الخديو توفيق فيما عدا نقطة واحدة وهى أنه عين أملاك مصر وفقا للفرمان الصادر الى محمد على في يونيه ١٨٤١ منتزعا منها شبه جزيرة سيناء بما في ذلك العقبة والطور التى كانت قد ضمت الى الادارة المصرية في عهد الخديو اسماعيل وبهذا تصبح حدود مصر ممتدة من العريش الى السويس^(٢٩) وقد زاد من تدهور الموقف أن سفير انجلترا في الآستانة لم يطلع على هذا فرمان^(٣٠) مما جعل الحكومة الانجليزية تشك في الأمر فأرسل اللورد سالسبورى رئيس الوزراء ، لانجليزى الى المعتمد البريطانى في مصر اللورد كرومر بالمعارضة في تلاوة فرمان قبل الاطلاع عليه وكان هدف انجلترا من ذلك هو رفضها أن يكون لتركيا قوات مطلقة على قناة السويس^(٣١) رغبة في تأمين مصالحها التى تقتضى بحماية الطريق الى

(٢٩) يوسف خليل : المرجع السابق ، ص ٢١١ .

(٣٠) أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ج ٢ ، ص ١٠ .

وما بعدها .

(٣١) د. عباس مصطفى عمار : المدخل الشرقى لمصر — شبه جزيرة

سيناء ، ص ٧ .

الهند ، ولما كان فرمان تولية عباس الثانى يقطع شبه جزيرة سيناء كلها من مصر فقد منعت إنجلترا نشر فرمان حتى تصدر أوامر سلطانية بترك شبه جزيرة سيناء الى مصر ، ونتيجة لذلك حدثت أزمة بين إنجلترا والدولة العثمانية اضطر السلطان خلالها أن يصدر إرادة سلطانية باسناد ادارة شبه جزيرة سيناء الى مصر (٣٢) وبناء على ذلك أصبحت شبه جزيرة سيناء كما يحدها الخط الممتد من شرقى العريش الى رأس خليج العقبة تحت ادارة مصر (٣٣) فانفجرت الأزمة وتلى فرمان مع الارادة السلطانية المكتملة له فى ١٤ أبريل ١٨٩٢ بسرأى عابدين .

والموضح أن علاقة الخديو بالسلطان العثمانى كانت علاقة معقدة ذات شقين فالخديو يخشى السيطرة العثمانية على مصر وفى نفس الوقت يتخذها أداة للتخفيف من السيطرة الانجليزية استنادا الى تبعية مصر للدولة العثمانية وتوضيحا لذلك نقول أن الخديو كان يخشى السلطان عندما تؤول له أمور مصر وخصوصا وأن له قوة روحية يعتقد بها فمع أن المصريين كانوا حريصين على ما نالوا من استقلال محدود ، ضد أى عودة الى الحكم التركى المبائر فقد كانت عواطفهم مع السلطان باعتبارده خليفة للمسلمين ورئيس لأكبر دولة اسلامية يتجهون اليها طلبا للعون ضد الاحتلال كما كان أحمد مختار باشا المنسوب العثمانى فى مصر والجرائد الموالية للسلطان تعمل على تقوية ذلك الشعور لذلك كان الخديو يخشى السلطان ويجعل تعاونه معه مشوبا بالحذر والشك وفى نفس الوقت كان يحاول التخلص من السيطرة الانجليزية بالاستناد الى تبعية مصر للدولة العثمانية ومساعدة السلطان له .

وبالنسبة للسلطان فان الانجليز لم يقطعوا عليه حقا كان ينعم به

(32) Cromer : Modern Egypt. Vol 2 P 268 - 269.

(٣٣) الرافعى : محطى كامل ، ص ٣٠٦ .

فهم معترفون بسيادته مؤدون لخزينته الأموال ، كما ظل قاضى مصر عثمانى مقلدا من قبل السلطان ، فالانجليز لم يقطعوا ما بين مصر وتركيا لذلك رأى السلطان أن الاحتلال شر بلا شك ولكن اذا ما زال هذا الشر فكيف يضمن السلطان ألا يفقد ما سمح له به الاحتلال ؟ فقد ينقل كله الى المصريين ، وقد ينقل كل شىء الى دولة أخرى أوربية ، فماذا يدعو تركيا للعمل على تغيير الحالة والانجليز أنفسهم لا يبدو منهم أنهم يعترضون اجراء أى تغيير (٣٤) .

وكان كرومر دائما ما يهدد الخديو بإمكان عقد اتفاق مع السلطان على أساس احتلال انجليزى لمصر وسيطرة تركية اذ لم يكف الخديو عن مقاومة الاحتلال وظلت الشكوك تساور العلاقات بين الخديو والسلطان مما أدى الى عدم قيام تعاون مثمر بينهما فى مقاومة الاحتلال ، وساعد على ذلك موضوع جزيرة طاشوز Thasos ومع أن عباس كان يكره السيطرة التركية فانه كان يعارض قطع علاقته بالسلطان نهائيا بل كان يريد أن يستبقى من مظاهر السيادة التركية الحد الأدنى الذى يحول دون أن تعلن بريطانيا حمايتها على مصر .

٣ - علاقة الخديو عباس الثانى بالانجليز فى العام الأول من حكمه :

لم يظهر فى بداية حكم الخديو عباس ما يدل على عدائه للانجليز كما يذكر البعض (٣٥) بل كان عداؤه للأتراك واضحا ، وعلى تقاهم ودى مع الانجليز فى العام الأول من حكمه ، وذلك لأنه كان فى حاجة ماسة الى تأييدهم فى مسألة تعديل الحدود فأرضاه بارنج بعدم تعيين مجلس وصاية له (٣٦) حتى بلوغه سن الرشد بالسنتين الأفرنجية فكان

(٣٤) محمد شفيق غريال : تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ج ١

ص ٢٠ .

(٣٥) الزانعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، ص ٢٢١ .

(36) Comanos Pacha : Mémoires, 1920, P. 36.

لذلك وقع حسن في نفس الخديو الشاب كما وقف المعتمد البريطاني الى جانب الخديو حين علم بمحاولة السلطان انتزاع جزء من الأراضي المصرية وذلك لأن شبه جزيرة سيناء بما في ذلك العقبة كانت قد ضمت لمصر في عهد اسماعيل باشا فأرادت تركيا سلبها ، وجعل حدود مصر من العريش الى السويس ، فطلب كرومر من الحكومة المصرية الاطلاع على الفرمان قبل قراءته ، كما أبلغ حكومته بالأمر وتمت الاتصالات بين مصر والدولة العلية كما كتب قناصل فرنسا وروسيا الى سفرائهم بالآستانة للسعي لدى السلطان بابقاء شبه جزيرة سيناء تحت حكم مصر (٣٧) وازاء اصرار انجلترا تراجع السلطان وأعاد الحدود الى ما كانت عليه في عهد الخديوية السابقة (٣٨) ومما يدل على رضاه الخديو على الانجليز في تلك الفترة أنه أراد في أوائل مارس ١٨٩٢ أن يمنح ضباط البحرية الانجليز المكلفين بحراسته والذين استقبلوه بالاسكندرية عند عودته من النمسا أوسمة ولكن وزير الخارجية البريطانية اعتذر عن قبول هذه الأوسمة لأن قوانين الملكة لا تسمح بقبول الأوسمة الا في حالات خاصة لا تنطبق على هذه الحالة (٣٩) .

وقد وضح اللورد كرومر في خطاب له الى اللورد سالسبوري بتاريخ ١٥ أبريل ١٨٩٢ علاقة الخديو عباس بالانجليز في العام الأول من حكمه فأوضح أنه بالرغم من أن الخديو الصغير تتضاربه مصالح مختلفة تجعله كالأعبوبة الا أنه تصرفا طبييا تجاد بريطانيا كما أنه يتعلق به أكثر مما يجب (٤٠) .

(٣٧) مذكرات محمد فريد : القسم الأول تحت عنوان سنة ١٨٩٢ .
 (٣٨) « وردت الأخبار الرسمية من الصدر الأعظم الى الخديو والمندوبين العثمانيين بتلبية الباب العالي لمطالب مصر ، وبذلك انتهت كافة العقبات الحائلة ضد تلاوة الفرمان » .
 مذكرات محمد فريد : القسم الأول .

(٣٩) يوسف خليل جاد الله : المرجع السابق ، ص ٢١٣ .
 (40) Zetland, M. The life of Lord Cromer P. 19.

ويبدو أن أسباب تعلق الخديو بكرورم في أول الأمر أنه لم يكن مرتاحا الى وجود الغازى مختار باشا مندوب السلطان في مصر وقد ظهرت بوادر الاحتكاك بينهما منذ البداية خاصة بعد طلب المندوب العثماني من الخديو تغيير الوزارة مما ضايق الخديو ، وعد ذلك تدخلا في شئون بلاده الداخلية فأبرق الى السلطان يشكوه ويسأل عن يكون ممثلا للسلطان في مصر الخديو أم مختار باشا ؟ كما قام بدعوة النظار وأبدى لهم في حضور مختار باشا ثقته التامة بهم ورضاه عنهم (٤١) .

وهكذا سارت العلاقات بين الخديو والانجليز في السنة الأولى من حكمه في صالح الاحتلال مما دفع جريدة التايمز الى القول « ان وجود الانجليز أصبح ضروريا لتثبيت مركز الخديو الحالي ، وأن السير بارنج يجب أن يبقى في مصر لخبرته بشئونها ، وأن على الخديو الجديد أن يستمع الى نصائح المستشارين الانجليز ، ثم لمحت الجريدة الى أهمية تعيين مستشار انجليزى للقصر ليسترشد الخديو بأرائه نظرا لصغر سنه (٤٢) .

وعلى كل حال فان علاقة الخديو الحسنة بالانجليز لم تدم ضويلا فالخديو الشاب رأى أنه ليس له من الأمر الا اللقب ، وأن اللورد كرومر كان يعتبر نفسه الحاكم الحقيقى ، فحاول أن تكون مسئولية الحكم والسلطة في يده لا أن يكون دمية في يد الانجليز ومن هنا بدأت أزمته مع الاحتلال .

لقد تمسك الخديو بأن يكون حكم مصر وفقا للفرمانات السلطانية التي تحددها تسوية ١٨٤٠ بحيث يكون الوضع القانونى والدولى للبلاد سندا له يمنع انجلترا من انتحال أى حقوق تمكثها من دوام تدخلها

(41) Cromer : Abbas II, P. 5.

(٤٢) أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ج ٢ ، القسم الأول ،

في شئون مصر ، وقد زاد من سخط الخديو على الوضع في مصر أن رئيس النظار مصطفى فهمى كان شديد الاهتمام بمطالب كرومر بينما كان يهمل مطالبه ويمده بمعلومات غير صحيحة (٤٣) ، كما أنه أبعدته عن الشؤون العامة ووقف مع الانجليز في مسألة منشور البوليس ضد رغبة الخديو حيث وافق على اصدار منشور يأمر فيه المديرين بأن تكون جميع المكاتبات الخاصة بالضبط ، وتعيين العمدة والمشايخ والخبراء باسم مفتش عموم البوليس الانجليزى لا باسم ناظر الداخلية مما أغضب الخديو وزاد من الاستياء العام لأن ذلك معناه تحويل أعمال ناظر الداخلية الى مفتش البوليس وهو انجليزى (٤٤) .

ولما أحس كرومر بما يدور في خلد الخديو أخذ يذكره بأن للانجليز الفضل في وجوده على العرش ، وأن الشعب المصرى يريد الثورة على الأسرة المالكة .

وفي أثناء غياب كرومر في لندن في صيف ١٨٩٢ شك الخديو للمستتر آرثر هاردنج الذى كان ينوب عن كرومر أثناء غيابه عن مصر من أن المصريين يعتبرون مصطفى فهمى انجليزيا أكثر من اللازم وليس مصريا الى الدرجة الكافية (٤٥) .

وبعد عودة كرومر من انجلترا وجد أن الأمور أصبحت تتذر بأشياء جديدة فالخديو الذى كان صديقا له ومتوددا للانجليز قد أصبح مناوئا لهم ينظر الى كل موظف انجليزى فى الحكومة المصرية بعين الكراهية كما وجد كرومر نفسه فى مقدمة المكروهين (٤٦) .

(43) Cocheris, J. Situation internationale de L'Egypt et du Sudan, Paris 1903 P. 248.

(٤٤) مذكرات محمد فريد : القسم الأول من ١٨٩١ — ١٨٩٧ --

يناير ١٨٩٣ .

(45) Cromer : Abbas II, P. 10.

(46) Ibid P. 31.

الازمة الوزارية ١٨٩٣ :

أخذ الخديو عباس الثانى يرسم سياسته على مقاومة التدخل الانجليزى والتمسك بحقوق مصر وعدم التنازل عن حقوقه (٤٧) ولا وجد فى رئيس نظاره مصطفى فهمى خضوعا كاملا للانجليز حيث كان ينفذ أوامر معتمدهم ولا يتصرف فى أى شأن من شئون الحكومة الا بعد أخذ استشارته كما أراد أن يوضح للخديو ضرورة خضوعه لسلطة كرومر (٤٨) فى محاولة لاقتصائه عن كل سلطة (٤٩) ، مما أدى الى استياء الخديو الذى رأى أن خضوع مصطفى فهمى للانجليز يتسم بضعف الوطنية لديه حيث أنه لم يكن من أصل مصرى بل جاء أسلافه من كريت الى مصر (٥٠) كما أنه ضعيف التعلق بالمبادئ الاسلامية ، ومعاديا لتركيا وسياسة التعاون معها (٥١) .

ولما رأى الخديو أن التعاون مع مصطفى فهمى مستحيلا استقر رأيه على تغير النظارة الفهمية وترشيح تيجران باشا رئيسا للنظارة الجديدة وأبلغ اللورد كرومر بهذا الترشيح ، ولما كان كرومر يعلم أن تيجران باشا يكره السيطرة البريطانية على مصر ، ويميل الى الفرنسيين وأن الخديو يريد أن يوليه منصب رئاسة النظارة لذلك لم يقر كرومر هذا التدبير بأسلوب ينم عن مهارة سياسية فذكر أن عدم رغبته فى اسناد هذا المنصب الى تيجران يرجع لسببين وهما :

١ - أنه يعتقد أن تيجران يتبع سياسة العداء للانجليز .

(٤٧) جوليت آدم : المرجع السابق ، ص ١٤١ .

(48) Cocheris, J. Op. Cit., P. 248.

(٤٩) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٣٠٦ .

(٥٠) المصرى : فى ٩ ابريل ١٩٥١ - مذكرات عباس حلمى الثانى .

(51) Cromer : Op. Cit., P. 19.

٢ - أن تيجران أرمنى مسيحي ، ولا يستطيع قيادة الرأي العام الاسلامى ورغم أن كرومر كان يريد التخلص من تيجران خشية اتباعه سياسة العداء للانجليز فقد ركز على السبب الثانى لأنه يعلم أن العاطفة الدينية عند الشرقيين قوية والذي يريد أن يقنعهم يأتهم من هذا الباب ومع ذلك فقد تولى نوبار باشا وهو أرمنى مسيحي رئاسة الوزارة من قبل ولم يعترض أحد بل أن كرومر نفسه أشار بتعيين نوبار باشا بعد ذلك (٥٢) .

استخلص الخديو من أسباب رفض كرومر تعيين تيجران أنه يستطيع أن يعين رئيس نظاره من المسلمين دون استشارة كرومر فانتهاز فرصة مرض مصطفى فهمى باحتقان فى الرئتين فأراد التخلص منه (٥٣) ، وكان الرسول الذى يتعقب حالته الصحية هو محمود باشا شكرى رئيس الديوان التركى بالسراى ، فكان يكرر الزيارات يومياً لمصطفى فهمى متظاهراً بالمحبة والاخلاص مع أنه كان يود أن يكون المبشر الأول للخديو بوفاته ، ولما صعب ذلك وتحسنت صحة مصطفى فهمى أرسل الخديو اليه محمود شكرى ليخبره بأن صحته تستلزم الراحة ويشير عليه أن يقدم استقالته فكان جواب مصطفى فهمى بأنه سيفكر فى الأمر ، وأنه سيعطى جوابه فى صباح اليوم التالى (١٥ يناير ١٨٩٣) وفى الحال أرسل مصطفى فهمى الى مستشار المالية الانجليزى بالمر يخبره بما حدث فنصحته برفض الاستعفاء (٥٤) ، ولما حان الموعد المحدد لرد مصطفى فهمى أرسل الخديو اليه يطلب الرد فكان الجواب رفض

(٥٢) الوطن : العدد ٦٠٤٢ فى ٢ مارس ١٩١٥ تحت عنوان " سياسة اللورد كرومر فى مصر " .

(٥٣) المصرى : مذكرات عباس الثانى فى ٩ ابريل ١٩٥١ .

(٥٤) مذكرات محمد فريد : القسم الاول يناير ١٨٩٣ .

الاستعفاء^(٥٥) وأنه من الأوفق لسموه أن يستشير في ذلك اللورد
• كرومر

كبر على الخديو الأمر وأصدر قرارا باقالة مصطفى فهمى بحجة
اعتلال صحته وتم تكليف حسين فخرى ناظر الحقانية بتأليف الوزارة
الجديدة^(٥٦) فكان لهذا التبدل صدى كبير في كافة الأوساط عالية
ومحلية لأنه تم دون استشارة اللورد كرومر •

أرسل الخديو المسيو روليه بك سكرتيره العام الى كرومر يبلغه بتغيير
الوزارة وتعيين حسين فخرى فأجاب اللورد بأنه سيتوجه لمقابلة
الخديو •

رأى كرومر في اقالة مصطفى فهمى قلبا لميزان السلطة ومحاوله
من جانب الخديو لتوجيه ضربة قاصمة للنفوذ البريطاني لأنه لم يستشره
في تعيين فخرى باشا ولو استشاره قبل اسناد المنصب اليه لما اعترض
على تعيينه^(٥٧) ولكن الخطورة في نظر كرومر تكمن في أن تغيير الوزارة
ذبره الخديو ونفذه دون أن يأخذ رأيه ، وكان من المستحيل على
كرومر الموافقة على أى تغيير يهدف الى ضرب النفوذ البريطاني •

ذهب كرومر لمقابلة الخديو في ١٢ يناير ١٨٩٣ وأبلغه اعتراضه
الشديد على ما حدث لأن الحكومة البريطانية لها حق اختيار الوزراء
طبقا لمنشور جرانفيل في ٣ يناير ١٨٨٣ فأجابه الخديو بأن الفرمانات
السلطانية تعطيه حق اختيار وزرائه بنفسه فنصح كرومر بالألا يقاوم

(٥٥) المؤيد : عدد ٢ أبريل ١٨٩٣ حديث لمحمود باشا شكرى ، مذكرات
قليني فهمى باشا ، ص ١٢٠ - ١٢١ •

(56) H. D. Traill : Lord Cromer. London 1897 P. 281 - 9.

(57) Cromer : Op. Cit., P. 9 - Blunt : My Diaries VI, P. 106.

انجلترا حتى لا يفقد عرشه وسلطته (٥٨) وتعكر الجو وحدثت الأزمة (٥٩) ومع أن الخديو تمسك بموقفه الا أنه وعد كرومر بعدم نشر تشكيل الوزارة في الجريدة الرسمية الا بعد اعطائه الوقت الكافي للمفاوضة مع وزارة الخارجية البريطانية (٦٠) .

رأى كرومر انتهاز الفرصة لتلقيين الخديو درسا لا ينساه فاتصل باللورد روزبرى وزير الخارجية البريطانية وأبلغه بالخبر ، وبأن تغيير الوزارة دون أخذ رأيه سيكون له عواقب وخيمة اذا لم يحسم الموقف مع الخديو ، ويوضع حد لهذه المسألة لأن الخديو يعتقد أن الحكومة البريطانية لا تؤيده كما كانت تؤيد الحكومة السابقة (٦١) وطلب كرومر ارسال برقية توضح فيها الحكومة البريطانية أنه يجب أن تستشار في المسائل الهامة مثل مسألة تغيير النظار ، وأن التغيير الذى قام به الخديو غير مرغوب فيه ، وانها لا توافق على تعيين فخرى باشا كما طلب اعطاه السلطه لاتخاذ لاجراءات الفعالة اذا لزم الأمر للحيلولة دون احداث هذا التغيير ثم أوضح كرومر للحكومة البريطانية بأنه اذا تمكن الخديو من الحصول على أى مكاسب من جراء هذا الحادث فانه لم يستطع السير على الخطة التى ييسر عليها منذ عشر سنوات . أما اذا أعطى للخديو درسا فسيصعب عليه احداث أى مناعب أخرى مستقبلا (٦٢) ومع أن الخديو قد بر بوعدده بعدم نشر تعيين الوزارة الجديدة حتى يتفاوض اللورد كرومر مع حكومته فانه طلب من الوزراء

(58) Cocheris, J. Op. Cit., P. 248.

(59) Le Besphore Egyptien 21 Janvier 1893.

(60) Cromer : Op. Cit., P. 22.

(٦١) لما استتالت وزارة سالسبورى وتولى المستر جلاستون السلطة احس الخديو بأن جلاستون يميل الى الاسراع بالجلء عن مصر مما ساعده على مناواة كرومر .

(62) Cromer : Op. Cit., P. 23 - 24.

الجدد الذهاب الى دواوينهم مما ضايق كرومر فأصدر أمرا الى الموظفين الانجليز بعدم الاعتراف بالوزارة الجديدة أو التعاون معها حتى يسمح لهم بذلك (٦٣) .

رأت الحكومة البريطانية في عزل الخديو لرئيس الوزراء المتعاطف مع السلطة البريطانية في مصر وتعيين آخر دون استشارتها أمر من الصعب الموافقة عليه لأنه سيؤدي الى اهتزاز مركزها في مصر كما رأى مجلس العموم البريطانى أن من سوء حظ الخديو عدم اتصاله بالحكومة البريطانية قبل عزل وزارة مصطفى فهمى ورغم أن بعض الأعضاء أيدوا فكرة عزل رئيس الوزراء لرضه فان أغلبية أعضاء المجلس لم يوافقوا على ما قام به الخديو حتى لا ينتهى الأمر بضياح نفوذ انجلترا في مصر (٦٤) أرسلت الحكومة البريطانية برقية الى اللورد كرومر ذكرت فيها « أن حكومة جلالة الملك يجب أن يؤخذ رأيها في المسائل الهامة مثل مسألة تغيير النظار ، وأنه في الوقت الحالى لا توجد ضرورة للتغيير لذلك فهي لا توافق على تعيين قزرى باشا » .

وقد كلفت الحكومة البريطانية كرومر بأن يقابل الخديو ويبلغه بالبرقية ، كما طلبت منه ألا يتخذ أى اجراءات أخرى قبل الاتصال بلندن (٦٥) .

قابل كرومر الخديو في ١٧ يناير ، وأبلغه بالبرقية التى وصلتته من حكومته وطلب منه اعادة مصطفى فهمى الى رئاسة الوزارة فرفض الخديو طلبه وأوضح له أنه استعمل حقه في اختيار الوزراء حسب

(٦٣) الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، ص ٣٠٨ .

(64) The Parliamentary Debates, For Session 1893 Vol XIII, P. 115.

(65) Cromer : Op. Cit., P. 24.

الفرمانات السلطانية ، فهدده كرومر بأن نتائج رفضه ستكون وخيمة وحذره من عواقب مقاومة إنجلترا لأنه بذلك يجازف بساطته فرد عليه الخديو بأن تنازله عن العرش أفضل له من ارجاع مصطفى فهمى (٦٦) ، ولما علمت الحكومة الانجليزية بهذا الرد طلبت من كرومر أن يوضح للخديو بأنه اذا رفض الخضوع للنصائح البريطانية فان عليه أن يتحمل أخطر النتائج (٦٧) .

دارت عدة مقابلات بين الخديو ونظاره للبحث عن طريق لحل الأزمة فحاول حسين فخرى أن ينقذ الخديو من ورطته بتقديم استقالته ، كما ذهب بطرس باشا وتيجران باشا الى كرومر ملتجئين منه التساهل في حل الأزمة فرأى كرومر أن من المسلائم حل الأزمة دون العودة لاستشارة حكومته في لندن ، وبعد أخذ ورد طويلين استقر الرأي على تسوية الأزمة على أساس ألا يتمسك كرومر باعادة مصطفى فهمى على أساس أنه ليس من الصواب اذلال الخديو الشاب على أن يعزل حسين فخرى ويتم تعيين رياض باشا مكانه ويقدم الخديو بلاغا رسميا - وضع كرومر صيغته - بيدي فيه رغبته في توجيه العناية للبحث عن أفضل العلاقات الودية مع الحكومة البريطانية وأن يتبع في المستقبل نصائحها في المسائل الهامة (٦٨) .

وفي صباح ١٨ يناير زار الخديو وتم ما اتفق عليه وبذلك انتهت الأزمة الوزارية دون أن ينال أحد من الفريقين نصرا مؤزرا . وهكذا انتهت الأزمة الخطيرة التي أثارها عناد اللورد كرومر

(66) Cromer : Op. Cit., P. 24.

(67) Trail : Op. Cit., P. 286.

(68) Cromer : Op. Cit., P. 27.

ليفرض بالقوة تواجد رئيس وزراء لم يتردد يوما في الدفاع عن المصالح البريطانية ، وأن يضحى في سبيلها بمصالح بلاده (٦٩) .

وعلى كل حال فقد كان حل الأزمة مرضيا لفرنسا نظرا لابعاد مصطفى فهمى الذى كان يعمل ضد نفوذها ، ومرضيا لرومر نظرا لابعاد حسين فخرى الذى كان يظهر تأييده لفرنسا ، ومرضيا للخديو حيث نفذ رغبته في ابعاد مصطفى فهمى (٧٠) .

ومما سبق يتضح مدى التناقض بين أقوال الاحتلال وأفعاله فانجلترا التى كانت تسوغ احتلالها لمصر بدعوى المحافظة على حقوق الخديو تمنعه من حقه في اختيار وزرائه وتفرض عليه الوزراء التى تريدهم أما عن الموقف الدولى للأزمة فقد قاومت أوروبا هذا التعسف الانجليزى بشيء من الضعف ومع أن الخديو كان ينتظر مساعدة كل من فرنسا والروسيا له فقد وتفت الحكومة الفرنسية موقفا ضعيفا واكتفت بأن كلفت سفيرها في لندن بالاحتجاج على الاجراءات التعسفية التى اتخذها كرومر ضد الخديو ومعرفة الدور الذى لعبه كرومر في استقالة نظارة فخرى باشا فكان رد اللورد روزبرى أن الاجراءات التعسفية كانت من جانب الخديو ولم تكن من جانب كرومر لأنه هو الذى عزل رئيس النظار وعين رئيسا جديدا للوزارة لا يليق بهذا المنصب دون استشارة أحد (٧١) .

أما روسيا فلم تتدخل في الأزمة بينما تخاذلت تركيا في اتخاذ موقف واضح فاكتفى الباب العالى بتكليف سفيره في لندن أن يصرح لوزير الخارجية البريطانية أن الخديو يعتبر ممثل السلطان في مصر والتعرض

(69) Le Bosphore Egyptien : 20 Janvier 1893.

(٧٠) أحمد شفيق : مذكراتي في نصف قرن ج ٢ القسم الاول ص ٦١ .

(71) Trail : Op. Cit., P. 288 - 289.

له إنما هو تعرض لشخص السلطان ، وكان رد روزبري أن كرومر لم يقصد التعدي على حقوق الخديو وأن الحكومة البريطانية ترى في تعيين رياض باشا رئيسا للنظار حلا مرضيا (٧٢) .

أما عن الموقف الداخلي تجاه الأزمة فقد قوبل موقف الخديو من الأزمة بابتهاج كبير لأن مصطفى فهمي كان بغیضا الى نفوس أبناء الأمة لمآلته للاحتلال فالتفت الأمة حول الخديو ، وأصبح موضع حب الشعب وازداد النداء بحياته أثناء تنقلاته كما هاجمت بعض الصحف الوطنية مصطفى فهمي واعتبرته خائنا للوطن لأنه توقف عن تنفيذ أوامر الخديو استنادا على الانجليز فقالت « الأستاذ . أنه ما كان ينبغي أن يوقف أمر سيده وأمير البلاد الشرعى على مشورة أجنبي ، كما أيدت موقف الخديو من الأزمة وذكرت أنه طبق ما فوضه اليه السلطان من السلطة وما أوجبه عهود الوراثة من الحقوق ، وطالبت المصريين جميعا بالخضوع للسلطان والاعتراف بسيادته وسلطته عليهم (٧٣) كما هرعت وفود الأمة الى سراى عابدين في صبيحة الأربعاء ١٨ يناير ١٨٩٣ وكان منهم الأمراء والعلماء والأشراف والأعيان والتجار وأعضاء مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية وقضاة المحاكم وكبار الموظفين يهتفون الخديو ويظهرون اخلاصهم له فكان الخديو يخطب فيهم وفدا وفدا موضحا لهم أنه عازم على عدم التنازل عن أى حق من حقوقه (٧٤) فكان جواب بعض الحاضرين « يا أفندينا ربنا كتب خلاص البلاد على أيديك ، وما رأينا هذا الحماس وحب البلاد وأهلها صدرا غيرك ربنا يخايك ويطول عمرك » (٧٥) .

(٧٢) أحمد شفيق : المرجع السابق الذكر ، ص ٦٣ .

(٧٣) الأستاذ : الجزء الثالث والعشرون فى ٢٤ يناير ١٨٩٣ ،

س ٥٤٠ - ٥٤١ تحت عنوان « الحقوق المقدسة » .

(٧٤) نفسه : ص ٥٤٢ .

(٧٥) مذكرات قلينى فهمي : ص ١٢٢ .

وفي يوم الجمعة ٢٠ يناير أدى الخديو فريضة الجمعة في مسجد الحسين فاستقبله الشعب بالحماس والهتاف ، كما اجتمعت الألوف في المسجد وعلى جانبي الطريق يهتفون له بهتافات العالية (٧٦) .

وفي مساء السبت ٢١ يناير حضر الخديو تمثيل رواية (عابدة) في الأوبرا فقامت مظاهرة رائعة له اشترك فيها الوطنيون والأجانب اذ وقف الجميع حين دخول الخديو اللوج وصدحت الموسيقى بالسلام وهتفوا له هتافا عالية ، ودوى المكان بالتصفيق المتواصل فأجابتهم الموسيقى بالسلام الخديو مثنى وثلاث ورباع ، وكلمة عزفت زاد الهتاف والتصفيق طالبين اعادة السلام الخديو حتى أشار عليهم الخديو بالجلوس (٧٧) .

أما عن مصطفى كامل فقد اعتلى منصة الخطابة في ٢٠ يناير ١٨٩٣ بين جموع الطلبة الذين احتشدوا للتعبير عن سخطهم على المحتل ، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يتكلم فيها بين عدد ضخم من المستمعين ، وقد عاب مصطفى كامل في خطبته على ضعف الحكومة موجها نداءه الى المصريين للتكتل استعدادا للكفاح ضد المحتل (٧٨) كما هاجم هو وزملاؤه جريدة المقطم (٧٩) لموقفها العدائى من الخديو

(٧٦) وضح محمد فريد ذلك ، مذكراته فقال « صلى الخديو الجمعة بجامع الحسين وكان بانتظاره بداخل المسجد وخارجه على حافتي الطريق ألوف الألوف من الناس ، وتظاهروا عند مروره تظاهرا لم يسبق اليه مثل قى مصر ، واشترك الأجانب غير الانجليز مع المواطنين فى هذا الاحتفال التظاهرى ، ورغب بعض الشبان حل خيل عربة الخديو وجرها. بأنفسهم تعظيها لمقامه السامى فأبى ذلك » .

مذكرات محمد فريد : القسم الأول تحت عنوان يناير ١٨٩٣ .
(٧٧) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٣٠٩ .

(78) Bosphore Egyptien 22 Janvier 1893.

(٧٩) هذه الصحيفة اعتمد عليها الاحتلال وأمدها كرومر بالمال وبكافة المواد الصحفية التى تكفل لها الرواج ، وقد صدر العدد الأول منها غى يوم الثامن عشر من شهر أبريل ١٨٨٨ .

لما قام به احداث الأزمة الوزارية (٨٠) ثم ذهب وفد من الطلبة برئاسة مصطفى كامل الى مكاتب صحيفة لوبوسفور اجبسيان Bosphore Egyptien لشكرها على ما أبدت من شعور نحو مصر والمصريين أثناء الأزمة الوزارية .

ولقد كان لهذه الحركة الشعبية الرائعة أثرها الواضح في تقوية مركز الخديو أمام كرومر حتى أن كرومر نفسه لم ينفكر ذلك وان كان قد صورته تصويرا مشوها اذ قال : « حدثت كثير من التغييرات الوزارية خلال حكم توفيق أثارت الأحاديث في القاهرة ، ولكن أثر هذه الأحاديث لا يلبث أن يزول سريعا الا أنه من الواضح أن هياج الشعب هذه المرة قد تجاوز حده حتى أصبح الموقف قريبا لما كان عليه في بداية الثورة العرابية مع اختلاف واحد هو أن الخديو هذه المرة كان قائدا للحركة ، والتف حول بعض الشباب الذين رفعوا شعار الثورة في وجه الحضارة الغربية : والباشوات الذين جردوا من امتيازاتهم أو أنقصت سلطتهم ، وكل مسلم متعصب يكره الأجانب في سريرة نفسه ، وكل راغب في منصب ويرنو الوصول اليه بأساليب غير سليمة وكل موظف فاسد وقفت الرقابة الأجنبية حائلا بينه وبين الحصول على كسبه الحرام ، وكل شاب اعتبر نفسه أفضل من رئيسه الانجليزى . كل هؤلاء التفوا حول الخديو في حركته ، وهكذا اتحد المصري المتفرنج مع الباشا المتخلف الذى يود عودة حكم البلاد بالكرباج والفساد » (٨١) .

والواقع أن الأزمة الوزارية أثبتت حاجة الشعب المصرى الى من يقوده للمواجهة مع الاحتلال لذلك وقف بجانب الخديو يشد أزره

(80) Landau : Parliaments and Parties in Egypt. London P. 109.

(81) Cromer : Op. Cit., P. 34 - 35.

ويؤيده ، ويشاركة شعوره في أن يثبت أن لمصر خديويا جديرا
 بلقبه (٨٢) .

كما أن هذه الأزمة أثبتت التناقض الواضح بين أقوال الاحتلال
 وأفعاله فرغم أن الانجليز تذرعوا بأن سبب احتلالهم لمصر هو حماية
 عرش الخديو ، وتأييد سلطته فان الأزمة الوزارية أوضحت أن الانجليز
 لا يعترفون بسلطة الخديو في اختيار وزرائه (٨٣) ويفرضون عليه
 الوزراء الموالين لهم مما يعتبر تحديا صريحا له واعتداء صارخا على
 حقوقه وعلى المعاهدات الدولية التي تحدد مركز مصر (٨٤) .

أما عن موقف الخديو من الأزمة فكان مشرفا فلم يقبل بقاء
 وزارة عرفت بالخضوع للاحتلال ورغم التهديد بعزله اذا أصر على
 موقفه ، ونجح في عزل مصطفى فهمي وان لم يتمكن من ابقاء وزارة
 حسين فخري التي أمر بتشكيلها .

وعلى كل حال فقد خرج الخديو بمكسب هام من الأزمة
 الوزارية هو التفاف الشعب حوله وظهوره بمظهر الزعيم الوطني الذي
 لم يقبل وزارة عرفت بالخضوع للاحتلال واستعمل حقه في تعيين
 وزارة يرى فيها الاستقلال عن النفوذ الانجليزي .

٥ - وزارة رياض وحادث الحدود :

شكلت هذه الوزارة في ١٩ يناير ١٨٩٣ ، وكان كرومر يظن أن
 رياض باشا سيتمكن من التأثير على الخديو ليخفف من كراهيته
 للاحتلال ، ولكن ما اتبعه رياض كان على العكس من ذلك فقد شجع

(82) Bosphore Egyptien : 21 Janvier 1893.

(٨٣) اللواء : العدد ٣١ في ٦ فبراير ١٩٠٠ تحت عنوان « السلطة
 الشرعية في مصر » .

(٨٤) عبد الرحمن الرافعي : المرجع السابق ، ص ٣٠٨ .

الخديو على معاكسة انجلترا ، وذكر عقب الأزمة الوزارية أن سلوك الخديو قد رفعه في أعين الشعب وأكسبه احتراماً عاماً ؛ وأن جميع المصريين الآن في جانبه وقد علق كرومر على ذلك بقوله : « أن هذا لا ينطبق إلا على طبقة الباشوات » (٨٥) .

وقد حاول رياض باشا الحد من تغلغل النفوذ الانجليزي في البلاد كما كان يتمنى أن يفارق كل أوربي البلاد غير أنه في أعماله كان يضطر الى أن يعترف بأنه لا غنى عن الأوربيين ، ومع أن رياض كان يكره الصحافة الحرة كل الكره فقد شجع الصحافة المناوئة للاحتلال ، وكان يسير ضد كل ما هو أوربي ثم تضطره الظروف الى التراجع فمثلاً رفض السماح للسير جون سكوت وغيره من الموظفين البريطانيين حضور جلسات مجلس النظار (٨٦) إلا أن كرومر اضطر الى اصدار أمر يلغى هذا القرار (٨٧) كما أنه أصدر منشوراً يأمر فيه جميع الموظفين المصريين بالامتناع عن الاتصال بضباط الجيش من الانجليز ثم ما لبث أن ألغى هذا المنشور (٨٨) ، وكان يشجع الصحافة المتعصبة ضد انجلترا ثم ينقلب فجأة فيطلب من أحد الصحفيين المشهورين بتعصبهم الوطني وهو عبد الله النديم أن يغادر البلاد .

ونتيجة لموقف رياض باشا المناوئ للاحتلال وتغير الموقف في مصر لمصلحة الحركة الوطنية رأى كرومر ضرورة كبح جماح الوطنيين قبل تفاقم الموقف فطلب من حكومته زيادة عدد القوات الانجليزية في مصر نظراً لتطور الأمور فيها وقد وافقت الحكومة البريطانية على

(85) Cromer . Op. Cit., P. 42.

(٨٦) أحمد شفيق : مذكراتي في نصف قرن ، ص ٥٩ .

(87) Cromer : Op. Cit., P. 42.

(88) Ibid : P. 44.

طلبه (٨٩) وكلفته بابلاغ الخديو ورئيس النظار بقرارها بشأن هذه الزيادة دون توضيح السبب الذي دعا الى هذا القرار (٩٠) .

ونتيجة لقرار الحكومة البريطانية بزيادة عدد قواتها في مصر تغيرت خطة رياض باشا ضد الانجليز ، وتوقفت حركة الهياج وهدأت خواطر الأوربيين ، ولكي تبرر انجلترا الأسباب التي دعته الى زيادة قواتها أمام الدول الأوربية أرسل المستر جلادستون منشورا الى الدول يئلفها بأن زيادة قوة جيش الاحتلال لا يقصد منه أى تغيير في خطة انجلترا نحو مصر ولا في وعودها بالجلأ فردت فرنسا بأن ما جاء بالمنشور ليس كافيا لايضاح أسباب زيادة هذه القوة فأجاب وزير خارجية انجلترا بأن ذلك يرجع الى أن انجلترا سحبت في السنوات الأخيرة قسما من جيش الاحتلال غير أنها وجدت أن الباقي ليس كافيا لحماية الأجانب أو لصد ثورة محتلم وقوعها (٩١) .

وفي ١٦ فبراير وجه روزبرى الى كرومر رسالة نشرت علنا (٩٢) وضح فيها سياسة الحكومة الانجليزية بصدد مصر وهى تنطوى على وجود استمرار الاحتلال لعدة اعتبارات هى :

- ١ - حماية مصالح وسلامة الأوربيين المقيمين بمصر .
- ٢ - ان قيام أى هياج قصير لا يجبر انجلترا على تعديل سياستها في مصر .

(89) The Parliamentary Debates. For Session 1893 Vol. XIII, P. 2 - 3.

(90) Cromer : Op. Cit., P. 37 - 38.

(٩١) أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ، ص ٧٠ .

(92) Charles - Roux : Histoire de la Nation Egyptienne, Vols. II, P. 157.

٣ - ان انجلترا أقدمت على عمل فيه مصالح الحضارة ولأوروبا ولا يمكنها أن تتراجع عنه .

٤ - ان معنى سحب القوات الانجليزية من مصر هو عودة الفوضى والفساد اليها .

كما أشار روزبري بضرورة المحافظة على النظام الادارى الذى اقيم بالارشاد الانجليزى ثم أشار الى احتمال قيام اجراء مفاوضات مع تركيا والدول الأوربية وذكر أن الفرصة سانحة لكى تتحرر مصر من الرقابة الأوربية لأنها لم تنتهياً لذلك ، كما أن الحوادث الأخيرة تجعل انجلترا تفكر تفكيراً أكثر وضوحاً (٩٣) .

أما عن الخديو عباس الثانى فقد لجأ الى السلطان طالباً اسحده فزاره فى يوليو ١٨٩٣ (٩٤) ؛ وكان تجران باشا والشيخ على يوسف وعدد كبير من الأعيان والتجار والموظفين واثنين من أعضاء مجلس شورى القوانين (٩٥) ، وقد حاول الخديو اكتساب تأييد السلطان كما طاف تحران باشا على السفارات الأجنبية فى الآستانة موضحاً موقف الخديو ؛ ومع أن السلطان رحب بالخديو وأعلن رضاه عنه وأهداه نيشان الامتياز المرصع فإنه طلب منه الابتعاد عن مناوأة انجلترا وأن يحسن علاقته مع الانجليز ؛ كما استدعى تجران باشا وطلب منه أن يوقف خطته المناوئة للانجليز ؛ وبذلك عاد الخديو من الآستانة مهيناً الجناح ؛ فقد قضى السلطان على الآمال التى كانت تراوده .

والجدير بالذكر أن الخديو عباس الثانى اهتم بأمر الجيش

(93) Cromer : Abbas II. P. 40 - 41.

(٩٤) احمد شفيق : المرجع السابق ؛ ص ٩٣ .

(٩٥) نفسه .

منذ اعتقاله أريكة الخديوية فوطد صلته به ، وأمر بترقية الكثير من الضباط-المصريين ^(٩٦) كما فتح باب الترقى لهم الى الرتب التي تعلق رتبة الأميرالاي بعد أن كانوا يتوقفون عند هذه الرتبة ^(٩٧) كما كان يرتدى الملابس العسكرية كأحد ضباط الفرق ويشاهد المناورات الحربية بنفسه ، ويقوم بالتفتيش على الثكنات للوقوف على حالة الجنود مما أغضب اللورد كتشنر Kitchener سردار الجيش المصرى فاحتج لدى اللورد كرومر ، واستقر الأمر على انتهاز أول فرصة لخلق اهتمام الخديو بالجيش ^(٩٨) .

وقد أسند الخديو وكالة نظارة الحربية الى الفريق ماهر باشا محافظ الاسكندرية ^(٩٩) فى أثناء غياب كرومر فى لندن ، فكان ذلك بداية المتاعب الحقيقية بين الخديو والاحتلال حيث عمل ماهر باشا على التقليل من شأن كتشنر واثاحة الفرصة للخديو للاشراف الحقيقى على وزارة الحربية ^(١٠٠) فحاول أن يحصل على بيان بمرتبات الضباط والموظفين بالجيش المصرى للمقارنة بينها وبين مرتبات أقرانهم من المصريين ، وكان كتشنر يخفى ذلك البيان عن الخديو وكانت هذه المرتبات تقدم بصورة عامة فى الميزانية السنوية بدون تفصيل ^(١٠١) .

وقد تمكن ماهر باشا من الحصول على هذا البيان كما تمكن من التعرف على الطريقة التى تصرف بها الأموال التى كانت تحصل من

(٩٦) دار الوثائق : ديوان ممية سنوية عربى — صادر افادات وتحريرات مجموعة رقم ٤٢ ، ص ٤ مسلسل ٩٨ بتاريخ ١٠ اغسطس ١٨٩٢ وايضا ص ٤٩ مسلسل ١٣٢. بتاريخ ٢٦ نوفمبر ١٨٩٢ .

(٩٧) المصرى : مذكرات الخديو، عباس الثانى ، فى ٣ مايو ١٩٥١ .

(٩٨) أحمد رشاد : المرجع السابق ، ص ٤٦ .

(٩٩) أحمد شفيق : المرجع السابق ج ٢ ، القسم الأول ، ص ٨٠ .

(100) Zetland : Op. Cit., P. 208.

(١٠١) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ٨٠ .

المصريين مقابل الاعفاء من الخدمة العسكرية والمعروفة بالبدل العسكري والتي كانت تصل الى حوالى ٢٥٠.٠٠٠ جنيه فأتضح أنها تستخدم للصرف على قلم المخابرات الانجليزية فى مناطق متعددة من الوطن العربى منها السودان والحجاز واليمن وطرابلس (١٠٢) .

كما تمكن الخديو من بث بعض العيون فى فرق الجيش ووحداته التعليمية لمعرفة أحوال الجيش ، كما استطاع أن يبيث عيونه فى بيت السردار نفسه وكان يتصل برجال الجيش عن طريق العمدة والمشايخ فى القرى ، وعن طريق هؤلاء أتضح للخديو أن الضباط الانجليز الذين يقومون بتدريب الجيش المصرى ماسونيون (١٠٣) كانوا يشجعون الضباط المصريين بعد تخرجهم الى الالتحاق بالماسونية الانجليزية ، كما كان رئيس المخابرات الانجليزية فى مصر رئيسا للمحفل العسكري الانجليزى (١٠٤) .

وبمناسبة الاحتفال بعيد جلوس الخديو فى ٨ يناير ١٨٩٤ استعرض عباس الثانى بعض وحدات الجيش المصرى فى القاهرة

(١٠٢) جريدة المصرى : مذكرات عباس الثانى فى ٣ مايو ١٩٥١

(١٠٣) الماسون Macon كلمة فرنسوية معناها بناء ، فالماسونية بمعنى البناء وجماعة البنائين هم الأعضاء ، وكانت لهم كلمات وأشارات يتعارفون بها .

جرجى زيدان : تاريخ الماسونية العام . القاهرة - مطبعة المحروسة ١٨٨٩ ، ص ٢١ .

والماسونية من مهمتها : « أن تدخل فى روع الناس أنهم متساوون ، وأن الميزات القومية والمعتقدات كلها اصطناعية لا قيمة لها » .

ر . فورستيه : هذه هى الماسونية - ترجمة بهيج شعبان . بيروت ١٩٥٥ ، ص ٩ ، ١٢ .

وللتفاصيل أنظر : عبد الرحمن سامى عصمت . الصهيونية والماسونية ، ص ٨٤ .

(١٠٤) المصرى : مذكرات عباس الثانى فى ٤ مايو ١٩٥١ .

obbeikan.com

ذلك أحمد شفيق فيذكر أن الشكوك اتجهت الى حسين محرم الذي كان على صلة بكتشنر (١٠٩) وعلى كل حال فقد شك الانجليز في الأمر واعتبروه غير حقيقي (١١٠) .

ومع أن شكوك أفراد المعية حول من أبلغ نية الخديو كانت تحوم حول حسين محرم (١١١) فإنه يتضح من دواوين المعية السنية أن الخديو لم يفاتحه في هذا الأمر ، ولم يتخلى عنه بل قربه اليه (١١٢) مما يجعلنا نستبعد أن حسين محرم هو الذي أفشى بنيات الخديو الى الانجليز .

استعرض الخديو قوات الجيش في وادى حلفا وبجانبه ماهر باشا وكيل وزارة الحربية (١١٣) في ١٨ يناير ١٨٩٤ وأبدى بعض انتقاداته وملاحظاته على سلوك الجند في الاستعراض العسكري فعند

(١٠٩) أحمد شفيق : المرجع السابق ج ٢ ، ص ١٢٧ .

(110) George Arther : Op. Cit., Vol 1, P. 182 .

(١١١). أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

(١١٢) بالرغم مما قيل عن صلة حسين محرم بكتشنر فان دواوين المعية السنية توضح لنا أن الخديو لم يتخلى عنه بل قربه اليه ورقاه فعينه ياورا أول ويتضح ذلك من الديوان رقم ٥٤٠١ : ص ٢ : نسخة ٣ بتاريخ ٢ أبريل ١٩٠٥ حيث يذكر « انه قد سمحت المكارم الخديوية الفعيمة بترقية حضرة الميرلاى حسين محرم من ياوران الجناح الخديو الى رتبة اللواء وتعينه ياورا أول » وفى الديوان رقم ٥٤٠٩ نجد أن حسين محرم رقى الى رتبة فريق وتعين ناظرا للخاصة الخديوية ، مصدر أمر عال الى سعادة الفريق حسين محرم باشا بتاريخ ١٨ مايو ١٩١٢ بتعيينه ناظرا للخاصة الخديوية من التاريخ المذكور » .

انظر : دار الوثائق : دواوين المعية السنية عربى سجل س/١٥/١٥ تحت رقم عام ٥٤٠٩ .

(١١٣) رقى الخديو ماهر باشا الى رتبة الجنرال وعينه محافظا للاسكندرية بعد ان كان وكيلاً لمديرية الحدود بأسوان ، ثم عينه وكيلاً لوزارة الحربية .

جريدة : مذكرات عباس الثانى فى ٣ مايو ١٩٥١ .

مرور الأورطنين الثانية والحادية عشر التفت الى ماهر باشا وكان بجواره وقال له : « ان هذه الجنود في حالة تدعو الى الخجل » (١١٤) كما قال لقومندان الأورطة الثانية الانجليزى « ان سير هذه الأورطة ليس حسنا كسير الأورطة الأخرى » (١١٥) كما أبدى مثل هذه الملاحظة على الأورطة الحادية عشر وطلب القومندانان بآخر الطابور وأبدى لهم ملحوظاته على الجيش (١١٦) كما ألقى خطبة على مسامح الضباط انتقد فيها طريقة التعليم التي ينتهجها الضباط البريطانيون ازاء الجيش المصرى (١١٧) وصرح الخديو لكتشنر أنه يمدح كل ضابط يقوم بواجباته ويلوم كل من يقصر فيما عليه نحو جنوده (١١٨) ، وقد تأثر كتشنر من سلوك الخديو نحو الضباط الانجليز وانتهاز الفرصة للنيل من مهابة الخديو أمام الجيش (١١٩) فأعلن أن كرامة الضباط الانجليز قد اتمنت واحتج على ذلك بأن قدم استقالته ، ولما أحس الخديو بتوتر الموقف حاول حمل كتشنر على العدول عن استقالته فقال له أنا قلت ما رأيته كمصرى وكتائد للجيش ، ولكى ألفت نظر القائدين الانجليزين الى ضرورة بذل الجهد لاستكمال النظام ولا أقصد توجيه اهانات شخصية لك فلماذا تريد استخدام القضية لغايات سياسية (١٢٠) فرد كتشنر بأنه اذا كان الضباط الانجليز ينتقدون علنا بهذا الشكل فان مركزهم في البلاد يصبح من الصعب تأييده ، وانه في هذه الحالة يصعب عليه تماما الحصول على ضباط أكفاء للعمل بالجيش المصرى ؛

(١١٤) دار الوثائق : مذكرات مصطفى كامل ، ملف ٢٥ تليفراف

رقم ٨٢ بتاريخ ٢٣ يناير ١٨٩٤ .

(١١٥) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

(١١٦) مذكرات مصطفى كامل : التليفراف السابق الذكر .

(١١٧) أحمد رشاد : المرجع السابق ، ص ٤٦ .

(١١٨) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

(١١٩) الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، ص ٣١١ .

(١٢٠) بشارة تقلا باشا : مختارات من اقواله المنشورة بالأهرام

القاهرة - مطبعة الأهرام ١٩٠٢ ، ص ٣٥٩ .

فأوضح له الخديو بأن لديه الثقة التامة به ، وأنه لم يقصد سوى أن يلفت نظر القائدين الى ضرورة السهر على الكمال والنظام ، كما أنه فعل ذلك مدفوعا بحبه لجيشه ، ولهذا لا يفهم لماذا يريد أن يعطى لهذا الأمر الخصوصى معنى سياسيا ، فأوضح له كتشنر بأنه ربما لا يصر على استقالته وان كان لم يسحبها نهائيا (١٢١) ثم أرسل ضابطا الى كرومر ليشرح له تفاصيل الحادث (١٢٢) كما أرسل تلغرافين الى كرومر أيضا يشكو فيهما من انتقادات الخديو للجيش وبأنه صرح بأن حالة الجيش عار على مصر (١٢٣) وأنه أبدى ملاحظات فيها تحقير للضباط الانجليز .

ويدفعنا موقف كتشنر الواضح فى تصعيد الأزمة الى أن نتساءل ما هو الهدف الذى يرمى اليه من ذلك ؟

الواقع أن كتشنر كان ينقم على الخديو اهتمامه بالجيش : وكان قد أرسل من قبل الى كرومر يشكو له من محاولات الخديو التدخل فى شئون الجيش ، وقد تم الاتفاق بينهما على انتهاز فرصة مناسبة للنيل من هبة الخديو أمام الجيش ، وكان حادث الحدود هو الفرصة المرتقبة (١٢٤) ، كما أن كتشنر كان من مجموعة كرومر التى ترى ضرورة شل سلطة الخديو والضغط عليه حتى يمكن تنفيذ أغراض انجلترا فى مصر .

وعلى كل حال فقد هالت كرومر خطورة الموقف فذكر أن انتقادات الخديو للضباط الانجليز تعتبر أسوأ سلوك رآه فى حياته كما رأى أن

(121) Cromer : Abbas II, P. 51 - 52.

(١٢٢) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٢٣ .
 (١٢٣) مذكرات مصطفى كامل : ملف رقم ٢٥ تلغراف رقم ٧٧ بتاريخ ٢٢ يناير ١٨٩٤ ونص التلغراف ضمن ملاحق الرسالة .
 (١٢٤) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٣١١ .

الفرصة التي كان ينتظرها لتوجيه ضربة قوية ومناسبة الى الخديو قد حانت ، كما أن الفرحة مناسبة أيضا لعزل ماهر باشا وكيل وزارة الحربية المناوئ للانجليز فأبلغ حكومته بالأمر كما اقترح على الخديو بأن تسوية الموقف لا تتم الا بنقل ماهر باشا واصدار أمر عسكري يثنى فيه الخديو على الضباط الانجليز والجيش والا فانه سيفضّر الى وضع الجيش المصرى بكامله تحت سلطة الاحتلال (١٢٥) .

استاءت الحكومة البريطانية من الحادث وأبلغت كرومر بأن يخبر الخديو بخطورة الموقف بعد أن أصبح من عادة سموه اهانته الضباط الانجليز . وأن الترضية الوحيدة التي يمكن للخديو أن يقدمها هي نقل ماهر باشا واصدار أمر عسكري يثنى فيه الخديو على الضباط الانجليز والجيش (١٢٦) وفي حالة رفضه اعطاء هذه الترضية ننظر في استعمال الشدة التي يكون من ورائها وضع الجيش المصرى رأسا تحت السيطرة الفعلية لانجلترا حتى يمكن ضمان حماية الضباط الانجليز من المعاملة المهينة (١٢٧) .

وبعد أن أبلغ كرومر برد حكومته قابل رياض باشا وبجران بسا وأوضح لهما خطورة الحادث وطلب منهما تنفيذ ما طلبته الحكومة البريطانية وهدد بخلع الخديو من عرشه اذا لم يعنذر ويسحب انتقاداته (١٢٨) .

ولما كان الخديو لم يعد الى القاهرة بعد ، فقد هرع رياض باشا وبصحبته بطرس غالى ناظر المالية الى الصعيد وقابلاً الخديو بعد رسو يخته في جرجا وأخبراه باستياء كرومر منه ونهديه بالخلع

(125) Cromer : Op. Cit., P. 56.

(١٢٦) مذكرات مصطفى كامل : ملف ٢٥ تليفون رقم ٧٧ .

(127) Cromer : Op. Cit., P. 57 - 58.

(١٢٨) احمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

إذا لم يسحب انتقاداته وطلبنا منه تقديم الثناء والاعتذار للضباط الانجليز (١٢٩) فاندعش الخديو لتطور المسألة عند هذا الحد ، وأحس أن الغرض من ذلك هو احراجه والضغط عليه فأراد المعارضة ولكن رياض باشا أوضح له خطورة الحالة وأن النتائج ستكون وخيمة العقبي إذا لم يقدم الترضية اللازمة (١٣٠) كما ذكر له أن قنصل فرنسا يرفض التدخل وينصح الخديو بالاستسلام (١٣١) .

والواقع أن قنصل فرنسا قد حاول الضغط على كرومر للحصول على شروط أيسر للخديو ولكن كرومر أصر على أنه لا يقبل غير الشروط التي أعلنها ، ولذلك اقتصر عمل القنصل الفرنسي وقنصل روسيا على استخدام نفوذهما للتوفيق بين الطرفين (١٣٢) .

وتشاور الخديو في الأمر مع بطرس غالى ونوبار باشا ثم أمر بأن يرسل رياض باشا برقية الى تجران باشا ناظر الخارجية لابلانها الى كرومر ومضمونها أن الخديو قد اندعش من تطور الأمور وأنه يحتفظ لنفسه في تقرير حقيقة الواقع فيما بعد ، ولما كان يهمله ألا يكون هناك أى شك في رضائه لجيشه . فانه يكرر صدور الأمر للسردار للاعراب عن رضائه عن الجيش وعظيم الامتنان الذى شمله عند مفقده له (١٣٣) .

ولما وصلت كرومر هذه البرقية اعتبرها غير كافية للترضية

(١٢٩) محمد على علوية : المخطوط السابق ، ص ٣٧ .

(١٣٠) جوليت آدم : انجلترا فى مصر — ترجمة على فهمى كامل ، ص ١٤٢ .

(١٣١) ذكر عباس الثانى أن ما ذكره رياض غير صحيح وانه علم من المسير دى ريفرسو أن رياض لم يقابله .
جريدة المصرى : مذكرات عباس الثانى فى ٤ مايو ١٩٥١ .

(132) Cromer : Op. Cit., P. 58.

(١٣٣) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

الكاملة وأصر على أن يصدر الخديو منشورا يعرب فيه عن رضائه عن أحوال الجيش في الحدود وعن الضباط الانجليز الذين يقومون بتدريبه، وأن يبعد ماهر باشا عن الجيش كما أصر كرومر على أنه في حالة اذا ما أراد الخديو تقديم أى شكوى ضد الضباط الانجليز فعليه أن يقدمها للقائد العام لجيش الاحتلال (١٣٤) .

وقد قابل رياض الخديو بالفيوم وأخبره بمطالب كرومر وبخطورة الموقف فأراد المعارضة ، ولما علم أنه لم يسمح له بمواصلة السفر من الفيوم الى القاهرة الا اذا اعتذر (١٣٥) أصدر تصريحاً بالفرنسية نصه : « قبل أن أترك الوجه القبلى وأعود الى مصر ، أريد ان اكرر ما أظهرته من العناية وحسن الالتفات للجيش عند زيارتى للحدود ، وأثبت حسن رضائى الذى أبديته لكم من جهة حسن حالة الجيش ونظامه ، وانى لمسور من أن أهنيء الضباط الذين يرأسونه مصريين كانوا أو انجليز ، وانى لمرتاح أيضا بأن أقدر الخدمات التى أداها الضباط الانجليز لجيشى وأملنا أيها السردار أن تعلنوا أمرنا هذا على الضباط والعساكر » (١٣٦) .

ولما كان نص هذا التصريح قد نشر بالفرنسية فقد أصر كرومر على نشره بالعربية فأجيب الى طلبه (١٣٧) ولما أصر كرومر على ابعاد ماهر باشا عن نظارة الحربية أجابه الخديو الى طلبه وعينه محافظاً للقنال (١٣٨) .

وبذلك أذعن الخديو لما طلبه كرومر وأصيب نفوذه من جراء

(١٣٤) نفسه .

(١٣٥) محمد على علوية : المخطوط السابق ، ص ٢٨ .

(١٣٦) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

(١٣٧) نفسه .

ذلك بضربة قوية كما تصدعت هيئته في نفوس أفراد الجيش الذين أدركوا أن سلطة السردار أقوى من سلطة الخديو ، وأن خضوعهم لسيطرة الانجليز هو السبيل الى الترقى ، وانتهى الأمر بأن أصبح العساكر والضباط المصريين لا يعرفون رئيسا عسكريا لهم سوى ككتشنر باشا ولا رئيسا سياسيا سوى اللورد كرومر (١٣٩) » .

هذا هو الحادث المعروف بحادث الحدود ، ولكي يخفف الخديو من الصدمة ويقلل من وقع الحادث أمام الرأي العام الانجليزي ويقلل من هجوم الجرائد الانجليزية عليه أرسل تقرير سري عن الحادث الى ملكة بريطانيا يدافع فيه عن نفسه فذكر أنه عندما استعرض الحاميات العسكرية في أسوان وكورسكو ووادي حلفا أثنى عليها بصفة عامة غير أنه انتقد ما وجده من اهمال في الأورطتين الثانية والحادية عشر وأنه لم يقصد من وراء انتقاده سوى اظهار أخطاء مؤقتة لفتت نظره ووجهها دون أن يقصد من ذلك اهانة الضباط الانجليز (١٤٠) .

ويتضح لنا من هذا التقرير تراجع الخديو عن موقفه العدائى تجاه الاحتلال وخصوصا بعد أن رأى عدم جدية فرنسا في مسانדתه وتهديد الانجليز له باحلال شقيقه الأصغر محمد على مكانه (١٤١) . أما عن الأزمة فيتضح استغلال كرومر للحادث استغلالا يدل على تمتعه بمهارة سياسية واحاطة تامة بكل ما حوله من الظروف . كما يتضح تضائل نفوذ الخديو واشتداد الجفاء بينه وبين رياض باشا الذى لم يقف معه باخلاص (١٤٢) لأن الموقف لم يكن بالخطورة التى صورها له وانه كان من الممكن أن تحل الأزمة بطريقة أفضل لو أن رياض وقف

(١٣٩) بشارة تقلا : المرجع السابق ، ص ٣٥٩ .

(١٤٠) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٣٠ .

(141) Chocheris, J. Op. Cit., P. 259.

(١٤٢) الرفاعي : المرجع السابق ، ص ٣١٣ .

بجانبه ، ولم ينصح بتقديم الاعتذار المهين ^(١٤٣) لذلك نقم عليه وحاول التخلص منه في أقرب فرصة كما طلب من الصحف الموالية له مهاجمة رياض لتقصيره في مساندة الخديو أثناء الحادث ولما أحس رياض بذلك قدم استقالته في ١٤ أبريل ١٨٩٤ ، وقبل أن يصدر الخديو قراره في الأمر اتصل بكرومر واستشاره محافظة على وعده للحكومة البريطانية بشأن من سيخلف رياض فأثار عليه بتعيين نوبار بأثما .

وزارة نوبار واطلاق يد الانجليز في الادارة المصرية :

انتزع للخديو بعد حادث الحدود أنه دفع الثمن غاليا في مناوئته للانجليز فقد فقد في السنوات الثلاث التي جلس فيها على العرش من السمعة والهيبة والنفوذ الكثير ، وأن مقاومته العلنية للاحتلال سببت له أضرارا قد تودي بعرضه لذلك سلك طريق المقاومة السرية للاحتلال فشجع العناصر المعارضة له سرا بينما أظهر الوفاق مع الانجليز علنا .

وقد تألفت وزارة نوبار في ١٦ أبريل ١٨٩٤ ، وكان من المتوقع أن تضع هذه الوزارة حدا للعلاقات العدائية بين الخديو وكرومر ولكن كل منهما لم يكن لديه الاستعداد بقبول هذه السياسة ، وكان الخديو يعتقد أن نوبار سيقاوم سيطرة الانجليز على الادارة مثلما قاومها في وزارته السابقة ^(١٤٤) ، ولكن ما حدث هو أن نوبار قد اتبع عكس ذلك فسار على سياسة الخضوع الكامل للاحتلال حيث كان قد فقد الكثير من قدرته على المقاومة اذ كان في السبعين من عمره ويتوقع أن تكون هذه آخر وزارة له ، يضاف الى ذلك أن المنظمات الأرمينية المطالبة بالاستقلال كانت تجد التأييد من انجلترا ، كما أن انجلترا وافقت

(١٤٣) جريدة المصري : مذكرات عباس الثاني في ٥ مايو ١٩٥١ .

(١٤٤) تعتبر هذه الوزارة هي الثالثة بالنسبة لنوبار فقد كانت

الأولى في عهد الخديو اسماعيل والثانية في الفترة من ١٨٨٤ — ١٨٨٨ .

obeyikan.com

اتفق على أن يكون تعيينه مؤقتا وألا تكون له أى سلطات تنفيذية ،
وتكون اتصالاته بمختلف الادارات عن طريق الوزير .

ولما قدم نوبار المشروع الى الخديو للموافقة اعترض عليه فهدد
نوبار بالاستقالة ، وتحت ضغط كرومر قبل الخديو المشروع وتحقق
للانجليز السيطرة على وزارة الداخلية مما أدى الى استياء الخديو
من نوبار .

وقد وصلت العلاقة بين الخديو ونوبار الى درجة الأزمة حين
مرض الخديو اسماعيل بالسرطان وأرسل الى حفيده عباس الثانى لكى
يأذن له بالعودة الى مصر مراعاة لصحته وشيخوخته (١٤٩) حيث أن
هواها يوافقه ولأن الأطباء رأوا ضرورة مغادرته للأستانة (١٥٠) .

ولما كان الخديو يميل الى تحقيق هذه الرغبة خصوصا وأنه
كان يحب جده حبا شديدا (١٥١) تباحث مع النظار فى ذلك ثلاث مرات
ولكن مجلس النظار برياسة نوبار رفض فكرة عودة الخديو السابق
اسماعيل الى مصر حتى لا يسبب ذلك أزمات سياسية مع الانجليز (١٥٢)
ومع الدول التى اشتركت فى خلعه ، ولما أصر الخديو على طلبه أصر
النظار على موقفهم ، ولحوا بأنهم يفضاون الاستقالة اذا لم يحترم
الخديو رأيهم : فغضب عباس على نوبار وحاول التخلص منه بمضاعفة
الحمات عليه فى الصحف ، ولكن كرومر كان يرى أن أى تغيير وزارى
فى هذه الظروف يجعل المصريين يدركون أنهم لا يستطيعون البقاء
فى مناصبهم اذا لم يتعاونوا مع الخديو ضد الاحتلال فطلب التأييد من

(١٤٩) الرافعى : المرجع السابق ، ص ٣١٣ - ٣١٤ .

(١٥٠) احمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٧٩ .

(١٥١) مذكرات الاميرة جويدان زوجة الخديو عباس الثانى . القاهرة
الهلل العدد ٣٥٦ فى أغسطس ١٩٨٠ ، ص ٨٢ .

الحكومة البريطانية فأبلغته بأنها لا ترى داعيا لأي تغيير وزارى فى الوقت الحالى ، وأنه لو حدث ذلك ستعتبره موجها ضدها ، وعلى الخديو أن يتحمل النتائج المترتبة على ذلك .

ولما كان التهديد بالعزل واضحا فى تلك المهجة أنكر الخديو رغبته فى تغيير الوزارة وكانت هذه هى المرة الثالثة التى ينفار فيها الخديو أمام كرومر . المرة الأولى فى الأزمة الوزارية ١٨٩٣ والثانية فى حادث الحدود ١٨٩٤ وقد ترتب على هذه الأزمة نتيجتين هما :

- ١ - ضرورة أن يتبع الخديو نصيحة وزرائه .
- ٢ - استشارة الخديو لكرومر قبل عزل وزرائه (١٥٢) .

وقد استغل كرومر ذلك الوضع وطالب بتشكيل محكمة مخصوصة لمحاكمة من يعتدى على أفراد جيش الاحتلال فأرسل الى الحكومة المصرية ما خلاصته « أن القانون الدولى يخول لجيش الاحتلال اقامة الأحكام العرفية على جميع الذين فى مصر من وطنيين وأجانب لمحاكمة المعتدين على جنودنا لذلك فانى أرى اقامة محكمة مخصوصة ، وأطلب تشكيلها من خمسة أعضاء ثلاثة انجليز ووطنيين اثنين برئاسة السيرسكوت (١٥٤) » وعقب ذلك صدر قانون فى ٢٥ فبراير ١٨٩٥ بتشكيل هذه المحكمة لتحكم فيما يقع من الأهالى من الجنايات والجنح على عساكر أو ضباط جيش الاحتلال أو على البحرية الانجليزية (١٥٥) .

(١٥٣) المسدى : المرجع السابق .

(١٥٤) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٨٩ .

(١٥٥) انتهز كرومر فرصة ائتيك ثلاثة من البحارة الانجليز مع بعض الوطنيين فهول من شأن هذه المشاجرة البسيطة واعتبرها أثرا من آثار التصب الدينى ، وعقد النية على تشكيل محكمة عسكرية لمحاكمة المعتدين .

أحمد شفيق : المرجع السابق : ص ١٨٧ .

وقد أحدث ظهور هذا السون ضجة كبيرة في الأوساط الوطنية حيث يعتبر انتهاكا لسلطة القضاء المحرى وتثبيتا لأقدام الاحلال فهاجمه مصطفى كامل في مقال له تحت عنوان « صواعق الاحتلال » (١٥٦) كما أرسل الشيخ على يوسف بعريضة الى الخديو يطب فيها الغاء القانون الصادر بتشكيل هذه المحكمة « حتى يزول هذا العيب الكبير المشوه لنظام القضاء المحرى » (١٥٧) ولكى يصبح كرومر الحاكم بأمره في مصر لم يبق أمامه سوى تعيين وزارة أكثر خضوعا للاحتلال ، وقد ساعده على ذلك الجفاء القائم بين الخديو ونوبار ، وتدهور صحة نوبار بعد أن أصيب بكسر في قدمه (١٥٨) .

وقد قدم نوبار استقالته في ١١ نوفمبر ١٨٩٥ بعد استشارته لكرومر في ذلك فخلفه مصطفى بانف فهمى وكانت عودته لرئاسة الوزارة دليلاً على قوة نفوذ كرومر لأن مصطفى فهمى كان صديقا وفييا للانجليز ، وكانت بعض الصحف تسميه « سبر مصطفى فهمى » (١٥٩) .

وقد ألف مصطفى فهمى وزارته الجديدة في ١٢ نوفمبر ١٨٩٥ دون تعديل في الوزراء الذين كانوا في وزارة نوبار (١٦٠) وتعتبر هذه الوزارة وزارة استسلام وخضوع للاحتلال وقد ظلت في الحكم حتى نوفمبر ١٩٠٨ أى أنها دامت ثلاثة عشر عاما لذلك يطلق عليها بعض المؤرخين اسم الوزارة الطويلة لأنها أطول الوزارات عمرا في تاريخ مصر الحديث

(١٥٦) الاهرام : مى ٤ مارس ١٨٩٥ .

(١٥٧) محافظ عابدين : ديوان خديو — محفظة رقم ١٢ التماسات
جماعية .

(١٥٨) بينما كان نوبار يتفقد أطبائه فى شبرا وقع وانكسرت رجله .
نجيب مخلوف : المرجع السابق ، ص ١٨٥ .

(159) l'Echo d'orient : 14 November 1895.

(١٦٠) أحمد شفيق : المرجع السابق ج ٢ — القسم الاول ،
ص ١٧٩ — ١٨٠ .

وفي عهد هذه الوزارة تمكن كرومر من تعيين نائب عمومي انجليزي وأصبحت سلطة النيابة وهيئتها تحت تصرفه كما صدر في عهد هذه الوزارة مرسوم بتأسيس البنك الأهلي (١٦١) .

ومما سبق يتضح أن السياسة التي اتبعها كرومر تجاه الخديو أدت الى فقد الخديو للكثير من سلطاته وأوضحت له بأنه لا جدوى من المقاومة العلنية للانجليز فقد خسر الكثير مع الانجليز أثناء مقاومته لهم جهارا في الأزمة الوزارية وحدث الحدود .

ولذلك اتبع الخديو سياسة الوفاق مع الاحتلال علنا وتشجيع الحركات المناوئة للاحتلال سرا .